

في وداع أمين هويدي وصخر حبش

بقلم : معن بشور

ليس سهلاً أن يغيب عنك في يوم واحد صديقان غاليان
ارتبط اسم كل واحد منهما بحقبة جميلة وبهية من حياة
..امتنا المعاصرة

ففي القاهرة غيب الموت فارساً كبيراً من فرسان هذه الأمة
الذي أبى أ يترجل عن صهوة جواد الفكر والالتزام
القومي رغم مقاربته للتسعين من عمره، فبقي رغم تقدم
السنين متدفقاً في عطائه الفكري والبحثي والقومي دون
كلل أو ملل يتصرف وكأن تجربته الغنية وعلمه الغزير
ومعارفه الواسعة هي أمانة في عنقه ينبغي أن يردها إلى
أصحابها أي إلى أبناء أمتة قبل أن يرحل إلى جوار ربه
راضياً مرضياً

وفي رام الله فقدت الثورة الفلسطينية عموماً، وحركة
"فتح" خصوصاً، قائداً مميزاً من قادتها، ومناضلاً
نابضاً بالحيوية والإخلاص والتفاؤل العميق رغم كل ما
عاشته قضيته من خيبات واحباطات وإخفاقات... أمضى
عمره مستهدياً بالآية الكريمة: " محمد رسول الله والذين

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " صدق الله العظيم
في القاهرة غاب أمين هويدي رفيق جمال عبد الناصر
منذ البدايات الأولى لثورة 23 يوليو 1952 حتى الرحيل
الكبير للقائد الخالد في أيلول/سبتمبر 1970، بل الأمين
على العهد، الوفي للقسم، منذ رحيل ناصر حتى غيابه
بالأمس، فما ارهبه قيد ولا أسكته قمع، ولا شلّ إنتاجه
عائق، كأنه ما زال في حضرة قائده الكبير ينفذ المهمات
بدقة، يحل الأوضاع بمسؤولية، ويستشرف المستقبل
برؤية ثاقبة وبصيرة متوقدة

وفي رام الله غاب صخر حبش (أبو نزار) رفيق ياسر
عرفات و خليل الوزير، رفيق صلاح خلف وهائل عبد
الحميد، رفيق ماجد أبو شرار وسعد صايل، رفيق كمال
عدوان وكمال ناصر ومحمد يوسف النجار، رفيق جورج
حبش وأبو علي مصطفى، رفيق عبد الكريم وفضل
شرورو، رفيق زهير محسن وعبد الرحيم أحمد، رفيق
الانطلاقة الثورية الأبرز في النضال الوطني الفلسطيني
المعاصر، رفيق الرصاصات الأولى، الذي كان يردد تعبيراً
التصق باسمه، عبر عن تفاؤله الراسخ، وعكس روحه
المغروسة في وجدان شعبه: "لازم تظبط" .. وقد تحول
التعبير معه إلى قصائد وإلى برامج وإلى حكايات لا
تنتهى... ولعل الأفجع في رحيله ان الأمور "لم تظبط"

كما كان يريد، بل زادت سوءاً أحياناً رغم أن الكثير من "توقعاته قد "ظبطت

في القاهرة غاب عقل استراتيجي كبير من عقول مصر والأمة، بعد أن وضع خطط الدفاع عن بورسعيد والقاهرة أيام العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وبعد ان كان يد عبد الناصر اليمنى، اثر نكسة حزيران/يونيو 1967 ، لإخراج جيش مصر وأجهزة أمنها من ذهنية مراكز القوى التي توغلت في تلايبيها، فجمع للمرة الأولى والوحيدة في تاريخ مصر بين وزارة الحربية ومديرية المخابرات، فكان واحداً ممن أسسوا لحرب الاستنزاف التي كانت توطئة بل تحضيراً وإعداداً لعبور مجيد في أكتوبر 1973

وفي رام الله غاب عقل تنظيمي متميز من عقول فلسطين والأمة، الذي ترك بصماته في كل موقع تولى مسؤوليته، وفي كل ميدان خاض غمار المواجهة فيه، فرأى فيه الكثيرون صمام أمان حين كانت تهتز الرؤى، وتصطرع التيارات، وتتناحر القوى، وكان البوصلة السليمة في زمن الرياح العاتية والعواصف الهادرة، وأن أنسى لا أنسى أنني حين زرتة في تونس بعد اشهر من اتفاق اوسلو كيف أخرج لي من أحد أدراج مكتبه نشرة داخلية لـ "فتح" تحمل انتقادات لاذعة للإتفاق المشؤوم وتؤكد التزام

الحركة الفلسطينية الأصلية بخيار التحرير الكامل
في القاهرة غاب أمين هويدي، وهو المحبُّ الكبير للبنان،
المتفهم لظروفه وخصوصياته، المدرك لأهميته كرسالة بين
العرب، وبينهم وبين العالم كله، الداعي في كل مرة كان
يزور لبنان اخوانه العروبيين اللبنانيين أن يحفظوا وحدة
بلدهم، وان يجسدوا رسالته، وان يكونوا سفراء في
أمتهم، وان يقدموا لأبنائه الصورة الأنصع عن عروبة
ديمقراطية حضارية جامعة بإشعاعها الإنساني
وفي رام الله، غاب صخر حبش وهو ايضا محبٌ كبير
للبنان، مدرك لأهمية هذا الوطن الصغير للقضية الكبرى
في فلسطين، والذي حرص خلال وجوده في لبنان منذ
عام 1970 – 1982 أن يترجم من خلال كل مواقفه، لا
سيما من خلال مسؤوليته عن إقليم "فتح" في لبنان، هذا
الحب والإدراك في سياسات صارمة تجاه كل متجاوز أو
مخلٍّ بالأمن أو متعديٍّ على كرامات الناس وممتلكاتهم،
فطالما سهرنا معه، ومع الشهيد أبي عمار وإخوانه،
الليالي لمعالجة خلل هنا أو تجاوز هناك، وكان شعارنا
في كل حين: "نحن مع المقاومة في وجه اعدائها..
..وأخطائنا معاً"

في القاهرة ورام الله، رغم المسافات الفاصلة، والفارق في
الأجيال، ودعنا بالأمس مناضلين كبيرين، ما ساوما في

حق، وما هادنا في مبدأ، وما تراخيا في ثابت من ثوابت
الأمّة، بقيا "امينين" على مبادئ الثورات التي حملتهم
وحملوها، وبقيا "صخرتين" ارتطمت بهما كل المتغيرات
والتطورات، بل وتراجعت أمام صلابتهما كل التهديدات
والمغريات.

رحمهما الله

03/11/2009